الحياة هـي الفصل بين السماء والـرجال. وانني لم التق، طوال حيـاتي، بالمرأة خـارج إطار العـائلة إلا إذا كـانت طيفـا على الشاشـة، أو صورة على أغلفـة المجلات.

ولا أدري كيف صبرت هذه المرأة على حديثي، وكيف هزت رأسها بالموافقة دون أن تفزعها طريقتـي في الكلام. رأيتها تقف امام نافـذة متجر يبيع ألعاب الأطفال. كـان هناك قرد يضرب الطبـل، وراقصة اسبانيـة، ترفع طـرف ثوبها وتعري نصـف ساقها، وتدور حـول نفسها، فوق صندوق يعـزف الموسيقى. وقطار كثير الألوان، خاليـا من الركاب، يدور فوق القضبـان دون محطة يقف عندها. وكانت هي تتابع هذا العرض وقد غمر وجهها فرح طفولي.

استوقفني منظرها، وحيـدة أمام الـدكان، وأعجبني جمال وجههـا الذي أضفى عليه المرح مسحـة من الألفة والحنان. فـوقفت بجوارها أشـاركها متعة المشاهدة راجيـا أن اجد الشجاعة لابـدأ الحديث معها. اقتضاني الامـر جهدا هائلا حتى استطعت ان افتح فمي بالكلام، وعنـدما تكلمت لم اجد ما اقوله سوى ان اسألها عن الساعة. عدت لاستخدام تلك الحيلة الساذجة المستهلكة التي لم يعد أحد يصدقها. ابتسمـت المرأة، وهي تشير إلى ساعتي التي نسيت أن اخفيها تحت كم قميصي، وتسألني لماذا لا أستشير هذه الساعة بدلا منها. اعترفت لها بقلة حيلتي، وعجزي عن اختراع ذريعة اخرى تتيح لي ان اكلمها، لان كل ما اردته هـو أن أمد خيطا من الود بيني وبينهـا. وسألتها دون إبطاء، وقبل أن تبدي استغرابها لهذا الغريب الذي يحمـل في يده انوال الود يرميها فوق الناس، بأنني سأنتظرها غدا تحت بـرج الساعة، عند الساعة الخامسة. هزت رأسها بالموافقة، ومضت دون ان تلتفت وراءها.

كيف إذن اتـرك موعـدا انتزعتـه انتزاعا بـالكد ومغـالبة الحرج والقفـز فوق أسـلاك شائكـة زرعتهـا في روحـي تعاليـم الصحـراء. كيـف اتخلى عن هـذا